العُنف اللَّفظـيّ: مُقاربَـة سوسيولِسانيَّــة

د. محمَّد هتهوت
كلية الاداب واللغات
جامعة البُليدة

Résumé :

Cette approche se veut pencher sur l'une des questions qui concerne la santé psychique et sociale des sociétés, s'appuyant sur la vision sociolinguistique pour décrire le phénomène de la violence verbale à travers différents réseaux socials.

Cet éssai se veut aussi, analyser l'impact de la violence sur la structure linguistique au niveau phonétique comme au niveau syntaxique, sémantique et lexicale.

Les mots clés :

la violence verbale- l'approche sociolinguistique- le tabou linguistique- la conversation- les actes linguistiques- les actes sociales.

المُلخَّص:

تقومُ هذِه المقاربَة، بإثارةِ أحدِ المواضيع الحَديثة و الهامَّة، ذلِك أنَّ لَها عِلاقةً بِالصِّحة النَّفسيَّة و الاجتماعيَّة لِلمجتمعات؛ و انَّه و ان دَعانِي استِشفاءُ ملامِح مَلفوظاتِنا، وَددتُ النَّظر و بحثَ ما كانَ مِنها عنيفًا، ذلك عَبر مُقاربةٍ سوسيولسانيَّةٍ ترصُد تفاعُلات البُنى الاجتِماعيَّة مع البُنى اللُّغويَّة.

إنَّ تَفشي ظاهِرة العُنف اللَّفظيّ و تغلغلهِ في تكلُّماتِنا لَدليلٌ على حِراكٍ في البُنية الاجتِماعيَّة، و نَحن و إن ارتكَزنا على الجوانب السوسيولسانيَّة في مقاربة ظاهرَة العُنف اللَّفظي، فإنَّنا نَلمس عُمق و طبيعة الظَّاهرة التواصليَّة، و التأثيرات المُتبادلة بين البُنية اللُّغويَّة و البُنية الاجتِماعيَّة، و بِاعتبارِ أنَّ اللُّغةَ قناةٌ يتمُّ عَبرها تَمرير التَّجارب و الانفِعالات الإنسانيَّة على اختلافِها، و أن اللغَّة مُؤشّرٌ هامٌّ يُعوّل عليهِ المُختصُّون في دِراسةِ المُجتمعات و رصدِ التَّحولات والتَّغيرات و حتَّى كشف الأعراضِ المَرضِية فيها.

الكلمات المِفتاحيَّة:

العُنف اللَّفظيّ- المُقاربَة السُوسيولسانيَّة- المَحظور اللُّغويّ- المُحادَثة- الأفعال اللُّغويَّة- الأفعَال الاجتماعيَّة.

تَمهيد:

اللُّغة أداةُ تَواصلٍ [1] و ظاهِرةٌ اجتِماعيَّة، و " سِجلٌ واضِحٌ و أمينٌ لِصورِ المُجتمع المُختلِفة و هي أداةٌ للتَّعبير عمَّا يَدورُ في المُجتمع مِن حضارةٍ و نُظمٍ و عقائِد و اتِّجاهاتٍ فِكريَّةٍ و تِياراتٍ اجتِماعيَّة و ثقافيَّة و فنيَّة و اقتِصاديَّة بينَها و بينَ هذه تأثيرٌ و تأثُّر و تفعُّلٌ مُستمرّ "[2]؛ فان رُمت معرفةَ حقيقَة الشعوبِ و المُجتمعات، نَظرتَ الى ألسِنتِها، فاذا هي تُرجمانُها.

و انَّ ظاهِرةَ العُنف اللَّفظيّ (la violence verbale) مِثل سلوكٍ اجتِماعيٍّ انفِعاليٍّ، ساخطٍ، ثائرٍ، يتبدى كطَيفٍ " مُتحرّك مِن الإمكانيات لِسلوكٍ يَتأرجحُ مِن الفكرةِ إلى الفِعل فَالحروبُ تبدأُ فِي الرؤوسِ قَبل سلّ السُّيوف، والكراهيَّة تُبرمِج تَعبيرَ الوجهِ الحاقِد، واللَّفظةُ السَّامة، ومدِّ اليدِ واللِّسانِ بِالسُّوء "[3]، و مِن الناحيةِ اللِّسانيَّة، فالعنفُ اللَّفظيّ سلوكٌ لُغويّ يَتعدى الحَديثَ العادي لِيخترقَ المَعايير و القواعِد الاجتماعية المُشتركَة داخِل الجَماعَة اللُّغويَّة، و في جانِبه النَّفسيّ، فهوَ فِكرةٌ داخليَّة ينتقِل و " يتطوَّر الى التَّصرفِ بعد اعتِمادِ (خِطاب) الانسانيّ، مِن الهَمزِ و اللَّمز و الاحتِقار و السُّخرية و تَحويرات الكَلمات، و التنابُزِ بالألقاب و تَنتهي باليَد و السلاح لإبادةِ و الغاءِ الآخر "[4]، كَما أنَّ عُلماء النَّفس يتفِقون على أنَّه –أي العنف اللَّفظيّ– " أرقى أنواعِ الرُّموز و أقدرِها على نَقلِ المُذكرات مِن مجالِ الغموضِ اللاشعوريّ الى حيّزِ الوضحِ الشفويّ "[5]؛ فالسُّخط و الفظاظَة و كلُّ ما يجري في كوامِن النَّفس البشريَّة لإلغاءِ الآخر، يَتعدى هذا الحدّ و يُفرغَ في قوالِب لغويَّة على شكلِ حُروبٍ كلاميَّة (guerre des mots).

لَقد تَجاوزت الدِّراسات الوصفيَّة أنظِمة اللُّغة بِأن قارَبت الظُّروف المَقاميَّة المُحيطةِ بِها؛ و اذا كان العنفُ اللَّفظي أحدَ تِلك الأحداث اللُّغويَّة الَّتي صارَت تَخضع للرُّؤية التَّداوليَّة [6] ضِمن تَحليل المُحادثَة la conversation، الواقِعة بينَ طرفين (مُتكلِّم/مُتلقِّي) في سياقاتٍ ومواقف إجتماعيَّة مختلفة، تتطلَّب

و هذِه الحال تناوُل هذا التَّحليل في شموليتِه بِأن يقترِنَ بِالممارَسات، فمِن ثمَّة يجب النَّظر الى الأفعالِ اللُّغويَّة (actes de langage) على أنَّها أفعال اجتماعيَّة (actes sociales) في حقيقتِها.

1- المُقاربة السُوسيولسانيَّة و سِياقات العُنف اللَّفظيّ:

السوسيولسانيَّات [7] مِن حيثُ هو عِلمٌ يدرسُ السُّلوك اللُّغويّ لِلجماعاتِ الاجتماعيَّة، يُعنى " بِملاحظةِ التَّفاعل بينَ كلِّ منَ اللُّغة والمُجتمع، وتأثيرِ كلٍّ مِنهما فِي الآخر، مُعتمِدا على مبادئ كلّ مِن عِلم اللُّغة وعِلم الاجتماع "[8]، والدِّراسة السوسيولسانيَّة في مقاربتِها، تحرصُ على الإحاطةِ بكلِّ أطرفِ العمليَّة التَّواصليَّة، فَتُعنى بِالمتكلِّم واللُّغة الَّتي يَستعمِلها، و المُتكلَّم إليه وزَمن التَّكلُّم وما ينتهي إليه الكَلام بِمعنى أنَّها تَدرس التَّوزيع الاجتماعيّ لِلمواد اللغويَّة، وكيف أنَّ متغيّرًا معيَّنًا قد يرتبطُ بِصياغةِ قاعدة نحويَّة معيَّنة في لغةٍ أو لَهجة، وما العمليَّات الَّتي تتغيَّر مِن خلالِها اللُّغات، مُستَنِدًا في ذلك الى مجموعةٍ مِن العواملِ الاجتماعيَّة، كعاملِ السِّن، عامل النَّوع (الجنس)، الطَّبقة الاجتماعيَّة، المستوى التَّعليمي، الانتِماء العِرقي، الانتِماء الجُغرافي، الوضعيَّة التواصليَّة...

إنَّ النَّشاط اللُّغوي الخارجَ عَن المعاييرِ الاجتماعيَّة المُشتركَة بينَ الجماعَة اللُّغويَّة، المُصطلحَ عليهِ بِالعُنف اللَّفظي، يتعدَّد في مَقاماتٍ ومواقفَ و أماكِن؛ فاذا ولَينا وُجوهَنا شطرَ، السِّياقات التَّعليميَّة والمَدرسيَّة ألفينا سِجلاً لغويًّا، تشيع فيهِ ألفاظٌ ذات الصِبغة الحَيوانيَّة (l'animalisation)، و مِن ذلكم السِّجل الأمثِلة: "حمار"، "بغل"، "حلوف"، "كلب"، "دابَة"...، و في الفرنسيَّة أمثلةٌ نحو:"bête"، "âne",cochon, "bourricot" ...، وهي نعوتٌ وصفات تحقيريَّة للآخر، تحطُّ مِن قدرِ الانسان إلى درجةِ الحيوانيَّة الوَضيعَة، و قِس على ذلكَ مِن عديدِ السِّياقات.

و الغالبُ في مَقامات العُنف اللَّفظيّ، أنَّها تَنبعثُ مِن مواقعِ سلطَة أو قوَّة نحوَ مواقعِ دونيَّة، في الأسرة و بين الأزواج، وفي الشَّارِع، في المَقاهي، في المَلاعِب و الأسواق...، و حتَّى الأماكن أو بينَ الأشخاصِ الأكثرِ رسميَّة، كالإدارات ومؤسَّسات الدَّولة، في مُحافظات الشُّرطة، في دورِ القضاء، أو البرلَمانات...؛ و المُلاحظ هَهنا أنَّ سلوكَ العُنف اللَّفظي يقلُّ اذا قورِن بِالمواقِف الأخرى، ذلك أنَّه يتأثَّر بالرَّسمي و غَير الرَّسميّ أثناء التَّواصل، و ربَّما اتَّخذ سبيلاً آخر[9] و أساليبَ أُخرى في التَّعبير.

مِن أساليبِ العُنف اللَّفظي الَّتي تَشيع في استِعمال، فِعل: القَّتل و التَّفجير و الذَّبح و قَطع الرَّأس ونَحوِها، وهي كلماتٌ عاديَّة، لكنَّ السِّياقَ الَّذي تَرِدُ فيهِ يجعلُها تُلتقطُ بالنِّسبةِ للآخر عنيفةً و خارِج دِلالتِها المُعتادَة المألوفة، خُذ في الفرنسيَّة مَثلا: "déchirer": مزَّق، "déchiqueter": قطَّع اربًا اربًا، " éclater": فرقَع، و في عِباراتٍ نَحو: " je vais

t'explosé": سأُفجّرك، "je vais t'éclaté": سأفرقِعك...، ذلكَ عوضَ أَن يستعمِل المُخاطِب العِبارات المألوفَة، مثل: je te frappe: سَأضرِبك، سَتنالُ عِقابَك...

مِن السّياقات أَيضًا، أَلفاظ ذات الدَّلالات العُنصريَّة، و هي شائِعةٌ في الدُّول متعدِّدة الاثنيات، كالولايات المتحدَّة الأمريكيَّة، و فرنسا و حتَّى في بُلدانِنا العربيَّة الاسلاميَّة و غيرها [10]

ولعل ممَّا يَستدعي الإشارة هَهنا – و نَحن نتأمَّل ما انتشر عَلى ألسِنتنا مِن صُور العنف اللُّفظي– العُشريَّة الدمويَّة الَّتي تجرَّعَتها الجزائِر، و قَد بَدأت بِتلك التَّراشُقات بينَ الأطرافِ و الأحزابِ الدِّينيَّة وغيرها.

هذه التَّراشُقات تُذكِّرنا بِما نُلفيهِ في كُتبِ التُّراث وما شُحِنت بِه اللُّغة مِن عُنف، فَفي إحدَى الجَلسات هاجَم الخَوارزميّ خَصمَه قائِلا: "والله لأتركنَّك بينَ المِيمات فَقلتُ: وما مَعنى المِيمات؟ فَقال: بينَ (مهزومٍ ومهدومٍ ومهشومٍ ومغمومٍ ومَرجوم) فَقلتُ " وأتركنَّك بينَ المِيمات أيضًا بينَ (الهُيامِ والصِّدام والجزامِ والحِمامِ والزُّكامِ وألمِ والرسامِ والهامِ والسقام) وبينَ السِّينات فَقد عَلمنا طريقةً بينَ (مَنحوس ومَنغوسٍ ، مَنكوسٍ، مَعكوسٍ، مَتعوسٍ، مَحسوسٍ، مَعروس) وبينَ الخاءات، فَقد فَتحتَ عَلينا بابًا بينَ (مطبوخٍ، مشروحٍ، مسوحٍ، ممسوحٍ، مَفسوخٍ)، وبينَ الباءات، فَقد عَلمتَني الطَّعن وكنت ناسيًا بينَ (مغلوبٍ ومسلوبٍ، ومرعوبٍ ومصلوبٍ ومركوبٍ ومنكوبٍ ومنهوبٍ ومَغضوب) وأَنشئنا كُلنا لِهذا الصَّاعَ وطاوَعنا الذِّراع "[11]، فقد تحولت الحروف والكلمات في هذه المناظرة إلى أدوات قتاليَّة اعتمدت على السُّجوعِ و التَّلاعبِ بالألفاظِ قصد إحداث الصدمة بالآخر.

و اذا كانَ مِن سِياقِنا التَّاريخي، فَلَيسَ خافِيًا على أحدٍ ما أَفرزته تلكم العُشريَّة مِن العَنيف، و الَّذي نَرصُده مِنها تلك التنابُزات الَّتي كانت تتقادفُها الأطرافُ والأحزاب و تَبنِي العُنف كمنهجٍ لفرضِ الرَّأي أو الوصولِ إلى السُّلطة، في بِدايةِ التِّسعينات؛ والمُلاحظُ في مَلفوظاتِها، نَهلُها مِن السِّجلِ الدِّينيّ (registre religieux)، في نَحو: " طَاغوت"، "ظلامي"، "القَتل"، "التَّكفير"، "سفَّاحون"، "إستِئصاليّ"، "إنتقامِيّ"، "دَمويُّون"، "إرهابِيُّون"، و شِعارات تَعالَت آنذاك مِثل: "لا مِيثاق لا دُستور قالَ الله قالَ الرَّسول "، من جِهة و أُخرى تَتردَّد:" قتَّالين، دبَّاحين، ويقُولوا مُجاهدين"، وغيرُها كَثير؛ و لعلَّ مِن المُخلَّفات المُعجميَّة لهذِه الفَترة ما يَجري لِحدِّ السَّاعة في تَكلُّماتِنا اليوميَّة مِن عَنيفِ اللَّفظ، يَستَقي عَديدها من السِّجل الحربِيّ، لَيسَت مألوفةً لَنا مِن قَبل، و هو دَليلٌ على أنَّ اللُّغة تَعكِس صورةً خالِصةٌ عمَّا يَحدث في المُجتمَع، مِن هذه التَّعابِير غَير المَألوفة: "طُمُوبِيل بُومْبَا" (يَقصِدون بِها سيَّارة رائِعة)،

نْبُومْبارِديك (أُفجِّرك)، الكَامِيكَاز (الإنتِحاريّ)،...

1.1 و لا يأخذُ العُنف شكلهُ المَلفوظ فَقط، بَل و قَد يَبدو في كَثيرٍ مِن نواحِيه في المَكتوبِ مِن اللُّغة، في الصُّحف و المَجلات، على صَفحات شبكَة المَعلوماتيَّة، في اللافِتات و الشَّاخِصات، نَحو: رِياضَة قِتاليَّة في أَحدِ دورِ الشَّباب بَدلَ: رِياضَة دِفاعيَّة، أَو اسمًا لِحيٍّ سَكنيّ، مِثل: حيّ المَذبح (Abattoir)، عِوضَ: حيّ الياسمين أَو الاستِقلال أو أحدِ شُهداء الثَّورة..، أَو اسمًا و لَقبًا لشخصٍ ما...، أو نَعتًا لِحرفَة مِثل: زبَّال لِعونِ النَّظافة، و غَيرها.

1.1 2- العُنف اللَّفظيّ و البُنية اللِّسانيَّة:

1.1 البُنية اللِّسانيَّة (la structure linguistique)، و ان شُغلَ بِها البِنويُّون [12] لِفتراتٍ طَويلَة منذُ فرديناد دو سوسير (Ferdinand de SAUSSURE)، يُريدون الامساكَ بالقَوانين الَّتي تَحكُم أنظِمة اللُّغة: الصَّوتيَّة، الصَّرفيَّة، التَّركيبيَّة و الدَّلاليَّة؛ لِكنَّ ما تتميَّز بِه اللُّغة مِن تَعقيدٍ نَزعَ عَنها هذا الغِطاء، اذ تَتطلَّب مُقاربَة عَوامِل أُخرى تُحيطُ بِها حتَّى نُبرِّر حقيقَتها و طبيعَتها، و مِن ذلك البُنية الاجتِماعيَّة (structure sociale).

1.1 ما يُرصَد – و نحن نتتبَّع مظاهِر العُنف– في البُنية الصَّوتيَّة مِن أثرٍ، تَصاعُد النَّبرة الكَلاميَّة (la، montée en tension interactionnelle)، حيثُ أنَّ كلَّ " لُغةٍ ذاتَ تَنبيرٍ عالٍ تُتلقى عُدوانيَّةً في وضوحٍ و سُهولة على عَكسِ أُخرى ذات تَنبيرٍ مُنخفض و نَغمةٍ عَذبَة chantante "[13]

و لا يَقتضي الجانِبُ الصَّوتيّ لِلعنف، تلمُّس الآلات و أجهزةِ رَصدِ الصَّوت اللُّغويّ في كثافتِه أو نَوعِه أو شدَّتِه، وايقاعِه في سَلاسِل الكَلام؛ و انَّما الحاصِل مِنه، و الَّذي يُمكِن الاشارةُ اليه، هو: تَنبيرُ المَقاطِع المُتصاعِد، الوَقفات، الايقاعُ غَير المُنتظم، هذا مِن جِهة [14]، واستِعمال الأصوات الانسداديَّة ذات المَخرج الحَنجريّ و نَحو ذلك. و يتَّخذُ الجِسمُ وَضعيَّاتٍ و حَركاتٍ يَتوازى فِيها مَع أدائِه الصَّوتيّ.

و مِن عَلاماتِ العُنف اللَّفظيّ على المُستوى التَّركيبيّ، مَسألةُ التأنيثِ و التَّذكير؛ فَفي أحيانٍ كثيرة يَلجأ الأفرادُ (ذُكور) الى مُخاطَبةِ خُصومِهم و أعدائِهم بِصيغِ التَّأنيث عِوض التَّذكير لإلحاقِ الاهانةِ [15] و "في بعضِ اللُّغات، استخدامُ التَّأنيث مَكان التَّذكير فِي مُخاطبةِ رجلٍ أو مُخاطبِين، صفةٌ تحقيريَّة "[16]

أمَّا المُستوى الدَّلاليّ، فَهو أكثَرُ مُستويات اللُّغة تعرُّضًا لِلتَّغيير، ذلك لأنَّه يصبُّ في الوظيفة الرئيسَة لِلُّغة و هي التَّواصُل، و ما يُميِّزه، تلكَ المَعانِي الجَديدة الَّتي تَكتسبها الألفاظ أَو الاستِعمالات غَير المألوفَة، و الَّتي تَخترِق المَعايِير، و مِن ذلك المَحظورات اللُّغويَّة.

المَحظور اللُّغويّ (le tabou linguistique) في تَعريفِه، هو: مَجموع الألفاظ " الَّتي يَشعر المتكلِّم بِالخوفِ أَو الحرجِ أو الفِعل من النُّطق بِها "[17]، فَهو " يرتبِطُ بالأفكار يَحظرُ طَرحُها، و على الأخصّ ما تعلَّق مِنها بالكَلمات و العِبارات الَّتي يُمنَعُ استِعمالُها "[18]، و هو يَشمل جُملةً مِن المَوضوعات: المَوت، المَرض، الأذى، الهَزيمَة، الطَّلاق، الأمور الجِنسيَّة، الذُّل، الخِيانَة، البُخل، الخُرافات و الأَساطير...؛ و جَميعُ هذِه المَوضوعات، تَحكُمها " قَواعِد اجتِماعيَّة وَضعيَّة تَختلفُ في العادةِ مِن مُجتَمع الى آخَر حتَّى و لَو كانَ المُجتمعان يَستعملان نَفس اللُّغة "[19]

يَقفُ في مُقابِل المَحظور، ما يُصطلحُ عليهِ: المُحسِّن اللَّفظي (l'euphémisme)، و يَعني:" الكَلمات البَديلَة الَّتي يَستَعمِلها المُتكلِّم بَدلاً مِن الكَلمات غَير المُستحسَنة أو المَحظورَة الَّتي يَجدُ حرجًا في النُّطقِ بِها "[20]

و ظهور المَحظورُ اللُّغويّ أَو ضُموره، دَليلٌ على حِراكِ المُجتمَع في عاداتِه و مُعتقداتِه، و هو دليلٌ في الآنِ ذاتِه على تَطوُّر اللُّغة في نواحِي دِلالتِها كَما يشيرُ الى ذلك دارِسو اللُّغة، يَقول إبراهيم أنيس في حديثِه عَن ابتذال الألفاظ:" و مِن ذلك ما يتَّصل بالناحِية النَّفسيَّة العاطفيَّة، و ذلك كَأن يَكون اللَّفظ قَبيحَ الدَّلالة، أو يتَّصل بالقذارةِ و الدَّنس، أَو يرتبطَ بالغريزَة الجِنسيَّة. فهنا نَلحظُ أنَّ اللُّغات تَفقِد بَعضًا

مِن ألفاظِها، أو تَنزوي، و يحلُّ محلَّها لَفظٌ آخَر أقلَّ وضوحًا في دِلالتِه، و أكثَر غُموضًا أو تَعميةً "[21]

فَقد يلجأ المُخاطِبون حينَ يستشعِرون في دَلالةِ اللَّفظِ قذارةً و انحطاطًا، الى استِعاضِها بِطرقٍ نَحو الكِناية أو التَّوريَّة أو التَّعريض دون التَّصريح، الاشارة، اللَّحن [22]، و ربَّما استُعمِلت لُغاتٌ أجنبيَّة كالفرنسيَّة مِن قبيلِ التَّغطيَّة و التَّلميح؛ ففِكرة المَوت مثلاً تُستبدلُ في كثيرٍ مِن الأحيان بـ: "انتقَل الى جِوارِ ربِّه"، "توفاهُ الله"، و قَد يُبدل الفرنسيُّون "mourir" يموت بـ:"périr" يَفنى، "passer" يَمرّ، "trépasser" يَعبُر، "décéder"، "s'endormir" يَنام...، و كذا الأمراض، مثل السيدا أو السرطان، و قَد عدلَ الأطباءُ –مثلما يذكر فندريس– " عَن استعمالِ كَلمة «عمليَّة» opération الَّتي صيَّرها الاستِعمال قاسيةً مَخوفةً. لا يَسمعها المريض حتَّى يتصوَّر الآلات المُرعبة و المَلابِس المُلوَّثة بِالدِّماء و الجِسم قَد طواه الألم طيًّا. فكلِمة opération «عمليَّة» ضحيَّة الصُّور الَّتي تُثيرها. لذلك يسودُ المَيل الى الاستِعاضةِ عنها بِكلمة intervention «تدخُّل» لأنَّها أنضرُ جدَّةً مِنها، و أكثرُ تحفظًا و أشدُّ غموضًا أيضًا "[23]

3- المَحظور اللُّغوي كَفعلٍ لُغويٍّ عَنيف:

المَحظور اللُّغويّ أَكثرُ أشكالِ العُنف النَّفسيّ انتِشارًا بَين الشُّعوبِ و الجماعات اللُّغويَّ (les communautés linguistiques) لِما لَه مِن علاقةٍ بِالإهانةِ والتَّحقير والاقلالِ مِن صورةِ الآخر بِنعوتٍ وصفاتٍ لا يَرضى سماعَها، فيضطرُّ المُتشاجِرون الى الرَّد بِالمثلِ أَو أكثر مِنه (العُنف الماديّ أَو الضَّرب)، و أَغلبُ الحروبِ و الصِّراعات تبدأ بالألفاظِ العنيفة و تنتهي بالقَتلِ و الاعدام؛ و الغالِبُ أَيضًا أنَّ الأَلفاظ العَنيفة أكثرُ أَذى و استِمرارًا في النُّفوس مِن العُنفِ الماديّ، كَما أنَّ الكَلمَة اللَّطيفة أنفَذ الى النَّفس و القَلب.

و النَّاظِر الى المُجتمعاتِ الَّتي تَمرُّ بِمراحِل انتقاليَّة (مِن الاقتصاد المُوجَّه الى الاقتصاد الحرّ)، يلمحُ صِراعاتٍ و مُشاحناتٍ، قَد يكونُ سببُها –في كثيرٍ مِن الأحيان– المُعجم اللُّغويّ المَشحون بِقيمٍ و دِلالاتٍ عَنيفة و غريبة؛ و ربَّما مِن أمثلةِ ذلك الأغاني الشبابيَّة (الرَّاي، أَو الراب :rap)، و تبنيّ سُلوكات اجتِماعيَّة غير مألوفة، و حتَّى التَّشدق بِلُغاتٍ أجنبيَّة لَيس الاَّ لإحداثِ الصَّدمات بالآخرين أَو احتِقارِهم؛ كَما أنَّه لَيسَ بِمستبعدٍ كَونُ العُنف أَيضًا بإزاءِ العربيَّة – اللُّغة الشَّريفَة اللَّطيفَة– حِين تكثُر أخطاءُ أَهلِها و تُستعجمَ أَلسنتُم و يَغلبَ عليهِم اللَّحن فَيستَهوِنوا أَمرَها.

خاتِمة:

بناءًا على هذِه الأسطُر – و أحسبُ أنّي لَم أوفِّها حقَّها– يمكنُ أن أَخرجَ بِجملةٍ مِن المُلاحظات و المُقتَرحات تكونُ عناصرَ لِخطَّةٍ يشتركُ في إعدادِها، سُوسيولسانيُّون، تربويُّون، أخِصائيُّو النَّفس وإجتماعيُّون، و رِجال السِّياسة و غيرهم، قصدَ التَّقليل و الحدِّ مِن تصاعدِ الملفوظِ العَنيف داخلَ المُجتمع و السَّعي إلى تَلطيف البِيئة و المُحيط اللُّغويّ، مِن هذِه المُقترحات ما يلي:

أوَّلا: تَفعيل المُؤسَّسات المجتمعيَّة الأساسيَّة (الأسرَة، المُؤسسات التَّربويَّة و التعليميَّة، المؤسَّسات الدينيَّة و الجمعيَّات...، و تَحسيسِها بِالدَّور المَنوط بِها فِي تكوينِ الأفراد والأَجيال بِطريقةٍ سليمةٍ بعيدةٍ عَن أشكالِ الإنحراف و الزَّيغ.

ثانيا: تَجنيد أَخصائيّين مِن لسانيين، نَفسيّين، إجتماعيّين فِي دراسةِ مظاهرِ العُنف بِأشكالِه: اللَّفظيَّة النَّفسيَّة و الماديَّة، بِتحديد بَواعثِه و أسبابِ تَصاعُده و كيفيَّات الوِقاية مِنه و علاجِه، و إعدادِ البرامج التربويَّة و تثقيفيَّة عَبر وسائلِ الإعلام.

ثالِثًا: استِبدال أسماءِ الأحياء و الشوارِع و حتَّى الأشخاص و المِهن ذات الشُّحن و الدَّلالات العنيفة، بِأخرى أَنسب.

رابِعًا: تَرسيخ القِيم الدِّينيَّة الفاضِلة.

خامِسًا: حمايةُ حُرمة اللُّغة بِإعداد تشريعاتٍ ونصوصٍ قانونيَّة، تَكفل حِمايتَها و سيرَها في مُؤسَّسات المُجتمع نُطقًا وكِتابةً و نَبذ المَزيج اللُّغوي، و الأشكال اللُّغوية البديئة و الغَريبة عن شخصيَّة المُجتمع، سواء تعلق الأمر بتسميات المحلات أو الواجهات و اللافتات أو أسماء الشوارع أو المناطق كالمدن والقرى أو حتَّى تسميَّات المِهن و الحِرف.

الاحالات:

1- كلُّ اجراءٍ تواصليّ، يَقتضي: مُرسِل émetteur، رِسالَة un message، مُتلقي récepteur، و عَليه فهو يشملُ:" – شَفرة un code. – تَشفير un encodage: اختِيارات لِبعض الرموز. – قناة: تُمرَّر عبرها الرُّموز المُشفَّرة. – فكٌ للشَّفرة un décodage: كَشفٌ للرُّموز. – استراتيجيَّة: وظيفة جِهازٍ ما، أو سلوكٍ انسانيّ "، ينظر:

BAYLON Christian, FABRE Paul, initiation à la linguistique, 02e édition, NATHAN, 1990, p 22.

و مِن هذا الأساس فالتَّواصل، يقومُ على نَوعين، فَتواصلٌ لُغويّ و آخر غَير لُغويّ؛ و انَّ الأوَّلَ يُقحِم استِعمال اللُّغة في شَكلِها المَلفوظ الصَّوتيّ أو المَكتوب، و أمَا الثَّاني فَما عدا ذلك، اذ يستخدِم الرُّموز و الاشارات كحَركات اليد أو تَلميحات الوجه و ما أشبه ذلك. و للتَّواصلِ (la communication) تعريفاتٌ عدَّة، فَمِن بينِها أنَّه " تبادلٌ كلاميّ بَين المُتكلِّم الَّذي يُنتِج مَلفوظًا أو قولاً مُوجَّها نَحو متكلِّمٍ آخر interlocuteur يرغَب فِي السَّماع أو إجابة واضحَة أو ضمنِيَّة explicite ou implicite ، و ذلك تَبعًا لِنموذجِ المَلفوظ الَّذي أَصدره المُتكلِّم le sujet parlant "، ينظر: مرتاض عبد الجليل، اللُّغة والتَّواصل (إقترابات لسانيَّة للتَّواصليّين: الشَّفهيّ والكتابيّ)، دار هومه للطِّباعة والنَّشر والتوزيع- الجزائر،2000م، ص78.

2- ينظر: البدراوي، زهران، مقدِّمة في علم اللُّغة، ط05، دار المعارف، القاهرة، 1993م، ص 192.

3- ينظر: حلبي، خالص، سيكولوجيَّة العُنف و استراتيجيَّة الحلّ السِّلمي، ط1، دار الفكر المعاصر بيروت- لبنان، 1998م/1419هـ ، ص237.

4- نفسه، الصفحة نفسها.

5- ينظر: أبو يعقوب، ابراهيم، الاتصال الانسانيّ و دَوره في التَّفاعل الاجتِماعيّ، ط01، دار مجدلاوي للنَّشر و التَّوزيع، عمان-الأردن، 1993م، ص 21.

6- نَهضت التَّداوليَّة في أوَّلِ أمرِها على البحوث في فلسفةِ اللُّغة، و كان مِن روادِها: ج.ل. أوستين (J.L.Austin)، و هـ.ب. كريس (H.P.Grice)، و غيرهما. و تبحثُ التَّداوليَّة " الاستِعمال اللُّغويّ، في مُقابِل البُحوث الَّتي تدرُس النِّظام اللِّسانيّ "، ينظر:

CHARAUDEAU Patrick, MAINGUENEAU Dominique, dictionnaire d'analyse du discours, Edition du Seuil, 2002, p 455.

و مِثلُ هذه النَّظرة في مُقاربةِ الظُّروف المُحيطةِ باللُّغة، دلَّت عليها بعضُ النُّصوصِ التراثيَّة بِعِبارةِ "لِكلِّ مقامٍ مقال"، فالجاحظ (ت 255هـ)، يذكر:" و انَّما مدارُ الشَّرفِ على الصَّوابِ و احرازِ المَنفعةِ، مع مُوافقةِ الحال، و يَجبُ لكلِّ مَقامٍ مِن مَقال "، ينظر: الجاحظ، أبو عثمان، البيان و التبيين، ج01، ط07، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998م، ص 136. و يسميهِ ابن خلدون (ت 808هـ) بـ:"بِساط الحال"، و مِن نصِّه:" و يَبقى ما تَقتضيه الأحوال –و يسمى بِساطَ الحال- مُحتاجًا الى ما يدلُّ عليه في كلِّ مُعتنى لا بدَّ و أن تَكتنِفه أحوال تخصُّه فيجِب أن تُعتبر تلك الأحوال في جميعِ الألسن..."، ينظر: ابن خلدون، عبد الرحمان، المقدِّمة، دار الكتاب اللبنانيّ مكتبة المدرسة، بيروت-لبنان، 1982م، 1073.

7- يَجري التَّداخل في المُصطلحيَّة اللِّسانيَّة العربيَّة بَين مُصطلحي: سوسيولسانيَّات (la sociolinguistique) و علم الاجتماع اللِّسانيّ (la sociologie du langage)، و الفَرق بَينهما، أنَّ الأوَّل مجالُه البحث في اللُّغة بالنَّظر الى المُجتَمع، بَينما الثَّانيّ، يَبحثُ الظَّواهِر المُجتمعيَّة بالنَّظر الى اللُّغة، فَشتَّان ما بينَ المَجالين.

8- ينظر: بشر، كمال محمَّد، قضايا لغويَّة، القاهرة، 1963م، ص 06.

9- يتأثر العنف اللَّفظي بِدرجةِ الرَّسميَّة و اللارسميَّة سواءٌ تعلَّق الأمرُ بِالأماكنِ الَّتي تَجري فِيها المُحادثَة أو التَّخاطُب (دار قضاء، محافظَة شرطة، مجلِس شعبيّ وطنيّ، مُستشفى)، أو بينَ الأفراد رسميُّون كانوا أو من أفراد العائلة (آباء و أبنائِهم، أشقاء، الأخوال، الأقرباء)، وهي تختلف باختلاف الشعوب و المجتمعات والأعراف والمعتقدات خاصة اذا تعلَّق الأمر بِالمحظور اللُّغويّ، فَفي ماليزيا مثلا " مجموعةٌ كبيرةٌ منَ الكلِمات أصبَحت مَحظورة، عندما يَكون الحديثُ عَن شخصِ المَلك: الأكل، النَّوم، حَالة الجُلوس، إلخ، فَلا يمكنُ ذِكرُها بِمصطلحاتٍ ماليزيَّة عاديَّة، اذ يَستلزِم الحالُ كلماتٍ خاصَّة " ينظر:

MARCEL Cohen, matériaux pour une sociologie du langage, petite collection Maspero, paris, P136.

10- مِن العَنيف اللَّفظيّ الَّذي يُطلقه الفرنسيُّون المُتعصِّبون على مُهاجريّ المَغرب العربيّ: "bougnole "، و هو يعني:" لفظٌ عُنصريّ يرمز إلى العامل المهاجر المغربي أو الرَّجل الأَسود "، ينظر:

Le dictionnaire de la langue française et édité sous la responsabilité de Mireille Maurainأو, Hachette livre et librairie générale française 1993 P 66.

لفظ: nègre، و black English، و هي كثيرةُ الاستِعمال في الوِلايات المُتحدَّة الأمريكيَّة ضدَّ السُّود المُستجلبِين في تِجارةِ الرِّق قَديمًا. و حتَّى أنَّه مِن الأمثالِ الوارِدة في الفرنسيَّة قَولُهم:" travailler comme un nègre: beaucoup, durement"، لِمَن يَكدحُ كَدحًا مُستمرًّا.

11- ينظر: لوسركل، جون جاك، عُنف اللُّغة، ترجمة محمد بدوي، مراجعة، د. سعد مصلوح، ط2، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، أيلول (سبتمبر)، 2006م، ص 11.

12- القَصدُ مِن البُنية اللِّسانيَّة على حدِّ قولِ ج.مُونان:" نَزعةٌ تَجريديَّة لا تَستقِ الأحداثَ اللِّسانيَّة الاَّ مِن شَبكةِ العِلاقات التَّقابليَّة التَّمييزيَّة بَين العَناصِر الَّتي تَسمحُ لِلُّغة بِأداءِ وظيفتِها الأساسيَّة، و هي التَّواصُل "، ينظر:

MOUNIN Georges, dictionnaire de la linguistique, Quadrige/P.U.F,1974, p 307.

و قَد علَّق الأستاذ الدكتور، الحاج صالح، على مُصطلح: le structuralisme"، ذلك بأنَّ الصَّحيح الفَصيح أن نَقول: البِنويَّة دونَ البِنيويَّة، " كَما نَقول "قَرويّ"، و "تَربويّ"، و "طَهوي" و غَير ذلك "، ينظر: الحاج صالح، عبد الرحمان، بحوث و دِراسات في اللِّسانيَّات العربيَّة، ج02، موفم للنَّشر، الجزائر، 2007م، ص 23.

13- voir: LEON Pierre, Précis de phonostylistique parole expressivité, Edition Fernand, Nathan, paris, 1993, P186.

14- يُطلقُ على مِثلِ هذِه المَظاهِر، بـ: الظَّواهِر فَوقِطعيَّة (suprasegmentaux les phénomènes)، ذلِك أنَّها " لا تَخضَع لِلتَّقطيع في السِّلسِلة الكَلاميَّة، و مِن ثمَّة فَهي في منأى عَن التَّحليل الصَّوتيميّ phonématique "، ينظر:

MOUNIN, op.cit. , p 312.

15- لعلَّ هذا مِن الأدلَّة – في مِثل هذه المُجتمعات- على الانتِقاص مِن شأنِ الاناث أمام الذُّكور.

16- voir: MARCEL, op.cit., p 36.

17- ينظر: حنا، سامي عياد و آخرون، نجيب جريس، مُعجم اللِّسانيَّات الحَديثة، إنجليزي- عربي، مكتبة لبنان، 1997م، ص 84.

18- voir: TRUDGILL Peter, sociolinguistics An introduction to language and society, 04 Edition, penguin books, England , 2000, p 18.

19- ينظر: السيد، صبري ابراهيم، علم اللغة الاجتماعيّ مفهومه و قضاياه، دار المعرفة الجامعية، سوتي-الإسكندرية، 1995م، ص 168.

20- ينظر: حنا، سامي عياد، مُعجم اللِّسانيَّات الحديثة، ص 45.

21- ينظر: أنيس، ابراهيم، دلالة الألفاظ، ط05، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984م، ص 140.

22- استعملَ العربُ المُتقدِّمون مِثل هذِه الأساليبِ، فَقد ذكَر المُبرد (ت 285هـ) بإيجازٍ لَمحاتٍ عن ذلك و بمصطلحاتٍ، كالتَّعمية أو التَّغطية، و الرَّغبة عَن اللَّفظ الخَسيس المُفحش الى ما يدلُّ على مَعناه مِن غيره و التَّفخيم و التَّعظيم، ينظر: المبرد، أبو العباس، الكامل، تحقيق محمد أحمد الدالي، ط01، مؤسسة الرسالة، ج02، القاهرة، 1986م، ص 855 و 858.

و قَد استدلوا بِنصوصٍ مِن القرآن الكَريم، نَحو قولِه عزّ و جلّ (أُحلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيامِ الرَّفثُ الى نِسائِكُم) [البقرة: 187]، و قالَ تَعالى:(أَو لاَمستُم النِّساء) [المائدة: 06]، و قال سبحانَه فِي المَسيح ابن مَريم و أمِّه -عَليهِما السَّلام- (كَانا يَأكُلانِ الطَّعام) [المائدة: 75]، انَّما هي كِنايةٌ عَن قَضاءِ الحاجَة.

23- ينظر: فندريس، جوزيف، اللُّغة، تَعريب عبد الحميد الدواخلي و محمَّد القصاص، مكتبة الأنجلو المصريَّة، القاهرة، 1950م، ص 281.